The Adventure of the Egyptian Tomb

أجاثا كريستي

سلسلة تحقيقات بوارو

ترجمة: د/أحمد تركي

مغامرة المقبرة المصرية

بالكلمات الطيبة

ساحر الكتب

مقدمة

هل تُصدق بوجود لعنة الفراعنة؟ والتي بدأت تظهر في العقل الجمعي بعد عام من اكتشاف وفتح مقبرة توت عنخ أمون عام 1922.

في قصتنا هُنا نُرافق المُحقق هيركيول (بوارو) وصديقه الكابتن هاستنجز في زيارة إلى مصر للتحقيق في حقيقة سلسلة من الوفيات المُخيفة والمُحيطة بمُكتشفي مقبرة فرعون أخر من الأسرة التاسعة؛ من كا رع.

نُشرت القصة في مجلة ذي سكيتش في السادس والعشرين من سبتمبر عام 1923.

1

اعتبرتُ دائمًا أن أكثر مُغامرة مُثيرة ومُمتعة شاركت فيها مع (بوارو) من بين مُغامراتنا العديدة، هي تحقيقنا في سلسلة الوفيات الغريبة التي تبعت اكتشاف ثم فتح مقبرة الملك من كا رع.

بعد وقتٍ قصير من اكتشاف اللورد (كارنافون) لِقبر توت عنخ آمون، تابع السير (جون ويلارد) ومستر (بليبنر) من نيويورك أعمال التنقيب والحفريات في منطقة غيرِ بعيدةٍ عن القاهرة، وفي مُحيط أهرامات الجيزة، فعثروا صُدفة على سلسلة من الغرف الجنائزية، وما أثار اهتمامهم لأقصى درجة هو ما يبدو أنه قبر الملك (من كا رع)؛ أحد هؤلاء الملوك الغامضين من الأسرة الثامنة، عندما غرقت المملكة الغابرة في الاضمحلال، وهو غير الملك (منقاورع) صاحب الهرم الأصغر وأحد ملوك الأسرة الرابعة. لا يُعرف الكثير عن تلك الفترة، ولهذا أبلغا عن كُل ما اكتشفاه إلى الصُحف.

بعدها بوقتٍ قليل حدث ما أثر بِشدة على الرأي العام؛ إذ

توفي السير (جون ويلارد) فجآة بسبب سكتة قلبية.

انتهزت الصحف المُثير للجدل الفُرصة فورًا لإعادة إحياء كُل القصص الخرافية القديمة التي تربط سوء الحظ ببعض الكنوز المصرية. كعندما استحضروا تلك القصص القديمة المُكررة عن مومياء توت عنخ أمون التعيسة في المتحف البريطاني بحماسةٍ مُنعشة، رغم نفي المتحف لها بكُل هدوء واستمتاعه كعادته بشعبية القصة.

وبعد أسبوعين توفي السيد (بليبنر) بتسمُمٍ حاد في الدم، ثم بعد أيام أطلق ابنُ أخٍ له رصاصة على نفسه في نيويورك. فأصبحات "لعنة من كا رع" حديث الساعة، وارتقت قوة مصر القديمة السحرية إلى مرتبة قصوى من انبهار الناس وهوَسِهم وتبجيلهم لها.

تلقى (بوارو) في ذلك الحين رسالة موجزة من السيدة ويلارد؛ أرملة عالم الآثار المُتوفى، تطلب منه المجيء لزيارتها في منزلها في ميدان كينسينجتون، فرافقته.

السيدة ويلارد امرأة طويلة ونحيلة، غشاها حدادٌ عميق، وشهد وجهها المُنهَك ببلاغة على ما تشعُر به من اغتمامٍ حالي.

«لُطفٌ منك أن تحضر على الفور يا سيد (بوارو)».

«أنا في خدمتك سيدة (ويلارد)، هل ترغبين في استشارتي؟».

«أنت مُحقق كما أعلم، لكني لا أرغب في استشارتك فقط بصفتك مُحققًا، أنت رجل ذو آراء شخصية مُتميزة، وأعلم أنك ذا خيالٍ وخبرةٍ كبيرتين. أخبرني سيد (بوارو)، ما رأيك في ما هو خارقٌ للطبيعة؟».

تردد (بوارو) للحظة قبل أن يُجيب، وبدا أنه يفكر في الأمر، ثم قال في النهاية:

«دعينا لا نُسيء فهم بعضنا يا سيدة (ويلارد)، هذا ليس سؤالًا عامًا بل له تطبيقٌ شخصي، أليس كذلك؟ أنتِ تُشيرين بطريقة غيرُ مُباشرةٍ إلى وفاة زوجك الراحل؟».

فاعترفت:

«نعم، هو كذلك».

«هل تُريدين مني التحقيق في مُلابسات وفاته؟».

«أُريد أن تتأكد من أجلي من صحة ما يُتداول في الصحف، وإلى أي مدى تعتمد الحقيقة ما يُقال. ثلاثُ وفيات سيد (بوارو)! يُمكن أن تُفسر كل حالة منها وحدها، لكن بتجميعهم، لن يكونوا مُصادفات لا تُصدَق بالتأكيد، وكلهم حدثوا في غضون شهر من فتح المقبرة! قد تكون مُجرد خرافة، وقد تكون لعنة قوية أتت من الماضي لتعمل بطرق لا يحلمُ بها العلم الحديث، وتبقى الحقيقة؛ إنها ثلاث وفيات! وأنا خائفة يا سيد (بوارو)، خائفة بشدّة، فقد لا تكون النهاية».

«على من تخافين؟».

«على ابني، فعندما وصل خبر وفاة زوجي كُنت مريضة، فذهب ابني- الذي أتى لتوه من أكسفورد- إلى هُناك وأحضر الجثة إلى المنزل، لكنه سافر إلى مصر مرة أخرى رغم صلواتي وتوسلاتي، إنه مفتونٌ للغاية بالعمل لدرجة

نيته تقلُد منصب والده ومواصلة التنقيب، قد تظنُ أنني امرأة حمقاء ساذجة، لكنني خائفة يا سيد (بوارو)، لنفترض أن روح الملك الميت لم تهدأ بعد؟ ربما تظُنني أهذي..».

فقال (بوارو) بسرعة:

«كلا يا سيدة (ويلارد)، في الواقع أنا أؤمن بقوة الخُرافة مثلك، وهي واحدة من أعظم القوى التي عرفها العالم تأثيرًا على الإطلاق».

نظرت إليه مُندهشًا، لم أكُن لأنسب الإيمان بالخُرافات إلى (بوارو) أبدًا، لكن تبدو جدية الرجل القصير واضحةً.

«هل ما تطلبينه حقًا هو أن أحمي ابنك؟ إذن سأبذُل مُنتهى جُهدي لإبعاده عن الأذى».

«نعم، وبالطُرق العادية، لكن ماذا لو ضد تأثيرٍ غيبي؟».

«سنجد العديد من الطرق لمواجهة السحر الأسود في كُتب ومُجلدات العصور الوسطى يا سيدة (ويلارد). ربما

كانوا يعرفون أكثر منا؛ بكُلِ العلوم التي نتبجح بها. والآن هيا نتحدث عن الحقائق وقد أتمكن من إرشادك. كان زوجك دائمًا عالم مصريات مُتفانٍ، أليس كذلك؟».

«نعم، منذ شبابه حتى مماته، كان أحد أعظم الخُبراء الأحياء في الموضوع».

«لكن السيد (بليبنر) كان هاويًا إلى حدٍ ما حسبما فهمت؟».

«أوه، بالضبط. كان رجُلًا ثريًا للغاية، ينخرط دون حساب في أي موضوع يشتهيه، وقد نجح زوجي في إثارة اهتمامه بعلم المصريات، كما موّلت ثروته بعثة التنقيب».

«وابن أخ السيد (بليبنر)؟ ماذا تعرفين عن رغباته؟ هل رافق البعثة؟».

«لا أظُن ذلك، لم أعلم أبدًا بوجوده في الحقيقة حتى قرأت عن وفاته في الجريدة، ولا أظن أن علاقته بالسيد

(بليبنر) كانت طيبة على الإطلاق، إذ لم يتحدث البتة عن أقاربه».

«من هم أعضاء البعثة الآخرون؟».

«حسنًا. هُناك دكتور (توسويل)؛ وهو مسؤولٌ صغير في المتحف البريطاني، والسيد (شنايدر) من متحف المِتروبوليتان في نيويورك، وشاب أمريكي عمل كسكرتير للبعثة، ودكتور (إيمز)، الذي يُرافق البعثة بصفةٍ المهنية كطبيب؛ وأخيرًا (حسن)؛ خادم زوجي المُخلص».

«هل تتذكرين اسم السكرتير الأمريكي؟».

« (هاربر)، على ما أظن، لستُ مُتأكدة. لم يعمل مع السيد (بليبنر) لفترة طويلة، لكنه كان شابًا لطيفًا جدًا».

«شُكرًا لكِ سيدة (ويلارد)».

«لو أن هُناك أي أمرٍ أخر.. ».

«لا شيء حاليًا. دعي الأمر لي الآن، وتأكدي أنني سأفعل كل ما هو مُمكنٌ لنا كبشر لحماية ابنك».

لم تُطمئن الكلمات نفس السيدة (ويلارد)، إذ لاحظتها تجفُل وهو يتحدث، وتجلت في الوقت ذاته حقيقة أنه لم يستهزئ بمخاوفها، وهو أمرٌ أراح قلبها رغم ما شعرت به.

وبالنسبة لي، لم أظن أبدًا من قبل أن الخرافات تجري في دم (بوارو) بهذا العُمق في طبيعته، فتناولنا الموضوع أثناء عودتنا إلى المنزل، لكنه بدا جادًا صريحًا بقوله:

«أنا أؤمن بتلك الأمور يا (هاستينجز)، ويجب ألا تقلل من شأن قوة تأثير الخرافات».

«وماذا سنفعل بشأنِ ذلك؟».

«أنت رجلٌ عملي دومًا يا (هاستينجز) النبيل، طيب، في البدء سنُرسل برقيةً إلى نيويورك لنحصُل على تفاصيلٍ وافية عن وفاة الشاب مستر (بليبنر) ».

وأرسل (بوارو) البرقية كما ينبغي، فجاءه الرد دقيقًا

كاملًا، عانى الشاب (روبرت بليبنر) من ضائقة مالية لعدةِ سنوات، وعمل في تمشيط الشواطئ بحثًا عن أي شيء ذا قيمة، وكرجل حوالات- أي تُحول له أموالٌ بانتظام من بلده الأصلي لدعمه معيشته في المهجر رغبة أن يبقى بعيدًا عن وطنه- في عدة دول من جزر بحر الجنوب، لكنه عاد إلى نيويورك منذ عامين فساءت أحواله المالية أكثر، وأهم شيء من وجهة نظري هو استطاعته اقتراض ما يكفي من المال للذهاب إلى مصر، فقد صرح قائلًا:

«لدي صديقٌ فاضل يُمكنني اقتراض المال منه».

لكن خُططه أخفقت رغم ذلك، فقد عاد إلى نيويورك ليسُب عمه البخيل الذي اهتم بزُفاتِ الملوك الغابرين أكثر من بني لحمه ودمه، وقد توفي السير (جون ويلارد) أثناء إقامة (روبرت بليبنر) في مصر. انغمس (روبرت) مرة أخرى في تبديد حياته بلا جدوى في نيويورك، ثم انتحر دونَ مُقدمات، تاركًا رسالة خلفه بها بعض الجُمل المُثيرة للفضول، وكأنه كتبها في لحظاتِ ندمٍ وحسرة مُفاجئة، وأشار إلى نفسه بالمجذوم المنبوذ، وانتهت الرسالة بالإعلان أن الموت أفضل بالنسبة له.

قفزت نظرية غامضة إلى ذهني، لم أؤمن في الحقيقة أبدًا بانتقامِ ملكٍ مصري مات منذ زمنٍ بعيدٍ، بل رأيت هُنا جريمة مُعاصرة. لنفترض أن الشاب قرر التخلص من عمه؛ بالسُم كأفضل وسيلة من وجهة نظره، لكن السير (جون ويلارد) تناول الجرعة المُميتة بالخطأ، فيعود الشاب إلى نيويورك تُطارده جريمته، ثم يصل إليه خبر وفاة عمه فيُدرك أن تفكيره الإجرامي لم يكُن ضروريًا، فأصابه الغم والندم، وانتحر.

اختصرت نظريتي ل(بوارو)، فبدا مُهتمًا وقال:

«إنها فكرة عبقرية، بالتأكيد، وقد تكون صحيحة، لكنك تستبعد تأثير المقبرة المُميت من حساباتك».

فهززت كتفيّ وقُلت:

«ألا زلت تظن أن لها علاقة بما حدث؟».

«إلى حدٍ كبير جدًا يا صديقي، لدرجة أني أُريد السفر إلى مصرَ غدًا».

فصحتُ مُندهشًا:

«ماذا؟».

«لقد اتخذت قراري».

اكتسى وجهه بتعبيراتٍ من البطولة المُتعمدة وهو يقولها، ثم استدرك وانتحب وتآوه وهو يقول:

«ولكن أوه.. البحرُ! البحرُ البغيض! ».

2

وبعد أسبوعٍ وطئنا بأقدامِنا رمال الصحراء الذهبية، وانسكبت أشعة الشمس الحارقة على رؤوسنا. انذوى (بوارو) وقد ارتسم البؤس عليه إلى جواري، فالرجل القصير ليس مُسافرًا مُتمرسًا، وقد عانى من رحلتنا التي استغرقت أربعة أيام من مارسيليا لدهرٍ طويل، وعندما نزل في الإسكندرية أصبح شبحًا فحسب من نفسه اللطيفة السابقة، وقد هجرته وسامته المُعتادة. وعندما وصلنا إلى القاهرة تحركنا على الفور إلى فندق مينا هاوس، بالقُرب من الأهرامات.

استحوذ عليّ سحر مصر، على عكس (بوارو)، فارتدي نفس ملابس اللندنيين بالضبط، وحمل فرشاة صغيرة في جيبه وشن حربًا متواصلة بها على الغبار المُتراكم فوق ملابسه الداكنة.

ثم صاح:

«وحذائيّ. ماذا عن حذائيّ يا (هاستينجز)؟ وجلدهما

الأنيق اللامع؟ اعتدتُ أن يكونا براقيّن جميليّن، انظر وقد دخلت الرمال فيهما، هذا مؤلم، ومظهرهما الخارجي يُثير الغضب، والحرارة تسببت في ترهُل شاربي، لقد ترهل يا (هاستينجز!) ».

فألححتُ عليه قائلًا:

«انظر إلى أبو الهول، أكاد أشعر بالغموض والسحر في زفيره».

فنظر (بوارو) إليه ساخطًا ثم صاح:

«حتى هو ليس سعيدًا، وكيف يكون كذلك وجسمه نصف مدفون في الرمال بهذه الطريقة غير المُنتظمة؟ آه، هذه الرمال ملعونة! ».

«بحقك، هُناك رمالٌ كثيرة في بلجيكا».

وذكرته بالعُطلة التي قضاها في (نوك سُر مير) ببلجيكا وسط كُثبان الرمال المثالية كما صاغ الدليل السياحي

المشهد، فحدق (بوارو) في الأهرمات وقال:

«لكن ليس في بروكسل، صحيح أنها ذات صلابة وشكلٍ هندسي على الأقل، لكن أسطحهم غير مستوية، كما أني لا أُحبُ أشجار النخيل، وهُم لا يزرعونهم هُنا في صفوفٍ! ».

فقطعت كلماته وندبه لحظه بالاقتراح أن نذهب إلى المُعسكر، إذ سيتوجب علينا أن نمتطي ظهور الجمال؛ تلك البهائم تركع صابرة مُنتظرة أن نصعد على متنها، والمسئولون عنهُم هُم عدة صبيانٍ طُرفاء يرأُسهم تُرجمانٍ طلق اللسان.

لمحت (بوارو) وهو فوق الجمل، وبدأ يأن ويرثي نفسه، ثم انتهى به الأمر يصرخ ويتشنج ويتضرع إلى مريم العذراء وكل قديسٍ يعرفه. وفي النهاية نزل ذليلًا وأنهى الرحلة على متنِ حمارٍ صغير. ويجب أن أعترف أن الجمل الذي يخُب في تحرُكاته ليس مُزحة مُناسبة للهواة، فلقد تصلب جسدي لعدة أيام بسبب ذلك.

وأخيرًا اقتربنا من موقع الحفريات، فتقدم رجلٌ ذا لحيةٍ رمادية حرقت الشمس جلده لمُقابلتنا، وقد ارتدى ملابس بيضاء وخوذة فوق رأسه.

«السيد (بوارو) والكابتن (هاستينجز)؟ لقد تلقينا برقيتكما. أعتذر إذ لم أبعثُ أحدًا لمُقابلتكما في القاهرة. وقع حادثٌ مُفاجئ قلب كُل خططنا رأسنا على عقب».

فشحب وجه (بوارو)، بينما أمسكت يده بفُرشاة ملابسه واستمرت في حربها، ثم زفر ببطء:

«جثة آخرى؟».

«نعم».

فقلت وقد كدتُ أبكي:

«سير (جاي ويلارد)؟ ».

«كلا يا كابتن (هاستينجز)، بل هو زميلي الأمريكي، السيد (شنايدر) ».

فسأله (بوارو):

«والسبب؟».

«التيتانوس».

شحب وجهي، وشعرت وكأن كُل ما حولي مُعبَق بجوٍ من الشر، والدهاء، والوعيد، ثم طَفت في ذهني فكرة مريعة؛ ماذا لو افترضت أنني التالي؟

قال (بوارو) بصوتٍ خفيض:

«يا إلهي. أنا لا أفهم، هذا شنيع. أخبرني يا سيد، ألا شك هُنالك أن السبب هو التيتانوس؟».

«لا أعرف، لكن دكتور (إيمز) سيُخبرك بأكثر مما أستطيع قوله».

«آه، بالطبع. أنت لست الطبيب».

«اسمي (توسويل) ».

هذا إذن هو الخبير البريطاني الذي وصفته السيدة (ويلارد) بكونه مسؤول صغير في المتحف البريطاني. هُناك ما أثار خيالي في شخصيته؛ شيءٌ خطيرٌ لاحظته بثباتٍ وفي الحال.

تابع دكتور (توسويل):

«إذا أتيتما معي سآخذكما إلى السير (جاي ويلارد). لقد حرص جدًا على إبلاغه بُمجرد وصولكما».

اصطحبنا عبر المخيم إلى خيمة كبيرة، رفع الدكتور (توسويل) الغطاء فدخلنا، ووجدنا ثلاثة رجال جالسين بالداخل، ثم قال (توسويل):

«لقد وصل السيد (بوارو) والكابتن (هاستينجز) يا سير (جاي) ».

قفز أصغر الرجال الثلاثة سنًا وتقدم ليُرحب بنا، ذكرني أسلوب اندفاعه نحونا بوالدته. لم يُصب بحروق الشمس تقريبًا مثل الآخرين، وهذه الحقيقة إلى جانب الإنهاك المُحيط بعينيه جعلته يبدو أكبر من عُمره الحقيقي البالغ

اثني وعشرين عامًا. واضح أنه يسعى لتحمُل ضغوطٍ عصبية أليمة.

ثم قَدم إلينا رفيقيه؛ دكتور (إيمز)؛ وهو رجل يبدو قديرًا، ويبلُغ من العُمر ثلاثين عامًا، شعره أشيب عِند صدغيّه. والسيد (هاربر) السكرتير، وهو شاب لطيف نحيف البنية يرتدي نظاراتٍ ذات حوافٍ مصنوعة من قرون الحيوانات، وهي علامة وطنية مُميزة هذه الأيام.

وبعد دقائق قليلة من الأحاديث العارضة خرج هذا الأخير وتبعه دكتور (توسويل)، وتركانا مع السير (جاي) والدكتور (إيمز)، فقال (ويلارد):

«أرجو أن تسأل فيما بدا لك يا سيد (بوارو)، لقد صدمتنا سلسلة الكوارث الغريبة تلك تمامًا، لكنها ليست غريبة بالفعل، ولن تكون أي شيء غير مُصادفات».

«لاحظتُ توترًا في سلوكه يُخفيه بكلماته، ولاحظت كذلك أن (بوارو) يتفحصه باهتمام، لذا سأله».

«أنتَ مُنغمس بكُل مشاعرك في هذا العمل يا سير

(جاي)، أليس كذلك؟».

«يُمكنك قول هذا، فبغض النظر عما يحدث أو عن عواقبه، سيستمر العمل، خُذ هذا في اعتبارك».

فالتفت (بوارو) إلى الرجُل الأخر وقال:

«وماذا لديك لتقوله بشأن ذلك يا سيدي الطبيب؟».

فتحدث ببطء وقال:

«حسنًا، لن أتوقف عن العمل بدوري».

ارتسم تجهمٌ مُعبِر معروف عن (بوارو) على وجهه، وقال:

«حسنًا، ينبغي أن نعرف طبيعة الموقف بالضبط. متى توفي السيد (شنايدر)؟ ».

«قبل ثلاثة أيام».

«هل أنت متأكد من سبب الوفاة؟ التيتانوس؟».

«بكُل تأكيد».

«ألا يُحتمل أن يكون تسمُمًا بالستركنين على سبيل المثال؟».

«لا يا سيدي (بوارو)، أرى ما ترمي عليه، لكنها كانت حالة تيتانوس واضحة».

«ألم تحقنه بالمصل؟».

فأجابه الطبيب بأسلوبٍ جافٍ من المشاعر:

«فعلنا بالتأكيد، جربنا كُل ما يُمكنك تصوره».

«هل كان معك مصل؟».

«كلا، اشتريناه من القاهرة».

«هل حدثت أي حالات تيتانوس أخرى في المخيم؟».

«لا».

«وهل أنت مُتأكد أن سبب وفاة السيد (بليبنر) لم يكُن التيتانوس؟».

«تمام التأكيد. كان هُناك خدشٌ في إبهامه أصابه بالتسمُم، ثم تسمم دمه. وسأجرؤ على قول أن الأمرين يبدوان مُتشابهين إلى حدٍ كبير بالنسبة لغير المُتخصص، لكن أؤكد لك أنهما مُختلفان تمامًا».

«إذن لدينا أربع وفيات، وكلها مُختلفة تمامًا؛ سكتة قلبية واحدة، وتسمم دم واحد، وانتحار واحد، وتيتانوس واحد».

«بالضبط يا سيد (بوارو) ».

«هل أنت متأكد أن لا شيء يُحتمل أن يربط تلك الأربعة معًا؟».

«لم أفهم مقصدك بالتحديد؟».

«سأقولها ببساطة ووضوح. هل ارتكب أيُ أحدٍ من هؤلاء الرجال الأربعة فعلًا قد يدُل على عدم احترام روحِ (من كا رع)؟ ».

حدق الطبيب في (بوارو) مُندهشًا وقال:

«ما هذا الهراء يا سيد (بوارو)؟ أنت لا تُصدق هذا الكلام الأحمق بالتأكيد».

وتمتم (ويلارد) غاضبًا:

«هُراءٌ محض».

ظل (بوارو) ثابتًا هادئًا، عدا وميض عينيه الخضراء الشبيهة بعيون القط قليلًا، ثم قال:

«إذن أنت لا تُصدق ذلك يا سيدي الطبيب؟».

فأجاب الطبيب بتأكيدٍ صارم:

«كلا يا سيدي، لا أؤمن بذلك. أنا رجُلُ علم، وأؤمن فقط بما يُعلمنا إياه العلم».

فسأله (بوارو) بهدوء:

«أولم يكُن هُناك علمٌ في مصر القديمة؟».

ولم ينتظر الرد، إذ انتابت الحيرة الدكتور (إيمز) بالفعل في الوقت الحالي، بل استطرد:

«كلا، كلا، لا تُجبني. بل أخبرني؛ ماذا يظُن العُمال المحليون؟».

قال الدكتور (إيمز):

«أعتقد أنه عندما يفقد الرجال البيض عقولهم، سيتخلف السُكان الأصليون عنهم كثيرًا، وأعترف أنهم خائفون، لكن لا سبب لشعورهم بذلك».

فقال (بوارو) بلا مُبالاة:

«هذا عجيب».

هُنا انحنى السير (جاي) إلى الأمام، وصاح مُرتابًا:

«لا يُمكنك أن تؤمن بـ.. بالتأكيد، أوه، هذا سُخف! لا تعرف شيئًا عن مصر القديمة إذا حسبت ذلك».

أجابه (بوارو) بإخراج كتابٍ صُغيرٍ من جيبه؛ وهو مُجلدٌ قديمٌ مُمزق، وبينما هو كذلك رأيت عنوانه؛ سحر المصريين والكلدانيين. ثم التفت (بوارو) وخرج من الخيمة، فحدق الطبيب في وجهي.

«ماذا يدور في ذهنه؟».

هذه العبارة- المألوفة جدًا بالنسبة لـ(بوارو)- جعلتني أبتسم لأنها جاءت من غيره، فاعترفتُ له:

«لا أعرف بالضبط، ربما يُجهز خطة لطرد الأرواح

الشريرة».

وخرجت لأبحث عن (بوارو)، فوجدته يتحدث إلى الشاب نحيل الوجه الذي كان سكرتير السيد (بليبنر) الراحل.

قال السيد (هاربر):

«لا، أمضيت ستة أشهر فقط مع البعثة. نعم، أفهم شؤون السيد (بليبنر) جيدًا».

«هل تستطيع أن تحكي لي شيئًا عن ابن أخيه؟».

«جاء إلى هنا ذات يوم، ولم يكُن سيئ المظهر، لم ألتقِ به من قبل لكن بعضنا يعرفونه من ذي قبل؛ (إيمز) على ما أعتقد، و(شنايدر). لم يُرحِب المُسِن على الإطلاق برؤيته، إذ كانا يتشاجران في كُل مرة. صاح الرجل العجوز وقتها: «ولا سِنتٍ واحد، الآن أو عندما أموت، أنوي الحفاظ على أموالي لتعزيز العمل الذي كرستُ له حياتي، ولقد تحدثت مع السيد (شنايدر) اليوم عن الأمر». وأشياء من هذا القبيل. وهكذا أسرع الشاب (بليبنر) إلى القاهرة على

الفور».

«هل كانت صحته جيدة وقتها؟».

«المُسِن؟».

«كلا، الشاب».

«أظن أنه ذكر خطبًا ما بشأنه، لكنه لم يكُن أمرًا جادًا، وإلا لتذكرت».

«سؤال أخير، هل ترك السيد (بليبنر) وصية؟».

«ليس بحسب ما نعلم».

«هل ستبقى مع البعثة يا سيد (هاربر)؟ ».

«كلا يا سيدي، لن أفعل. أتيت من نيويورك لترتيب الأمور هُنا فحسب، قد تسخر مني إذا أردت، لكني لن أكون الضحية التالية لـ(من كا رع) البغيض هذا، سيأخُذَ حياتي

إذا بقيت هُنا».

ومسح الشاب العرق عن جبينه، فاستدار (بوارو) وابتعد، ثم قال من فوق كتفه وقد ابتسم بغرابة:

«تذكر، لقد أخذ حياة أحد ضحاياه في نيويورك».

فقال السيد (هاربر) مُكرهًا:

«أوه، تبًا! ».

قال بعدها (بوارو) وهو يُفكر بِتمعُن:

«أعصاب هذا الشاب متوترة، إنه على حافة هاوية بحق».

تطلعتُ إلى (بوارو) في فضول، لكن ابتسامته الغامضة أخفت عني كُل شيء.

تجولنا حول موقع التنقيب بُصحبة السير (جاي ويلارد) ودكتور (توسويل)، نُقلت أي أثارٍ أساسية اكتشفوها إلى

القاهرة، لكن أثاث المقابر أثار اهتمامي للغاية في ذاته، كما اتضح حماس البارون الشاب وإن لمحت التوتر يُلقي ظلالًا على أسلوبه، وكأنه لا ينجح من الإفلات الكامل من الشعور بالرهبة السارية في الجو. وعندما دخلنا الخيمة التي خصصوها لنا للاستحمام قبل الانضمام إلى العشاء؛ وقف شخصٌ طويل القامة داكن البشرة يرتدي جلبابًا أبيض أمام الخيمة، فتنحى جانبًا وسمح لنا بالمرور بإيماءة رشيقة وغمغم بتحية باللغة العربية، فتوقف (بوارو) وقال:

«أنت (حسن)، خادم السير جون ويلارد؟».

«لقد خدمت سيدي السير جون، والآن أخدم ابنه».

ثم اقترب منا خطوة وخفض صوته قائلًا:

«يقولون إنك حكيم، تعرف التعامُل مع الأرواح الشريرة، قُل للسيد الشاب أن يُغادر، هُناك شرٌ يحوم في الجو من حولنا».

وفجآة ودون انتظارٍ الرد، انسحب مُبتعدًا، فتمتم (بوارو):

«الشر في الجو. نعم، أشعر بذلك».

لم تكُن وجبتنا مُبهجة، وتُركت ساحة الحديث لدكتور (توسويل) الذي تكلم طويلًا عن الآثار المصرية، وبينما نستعدُ للراحة أمسك السير (جاي) ذراع (بوارو) وأشار إلى حيث يتحرك ظلُ شخصٍ غامضٍ وسط الخيام.

ولم يكُن بشريًا! فقد ميزتُ بوضوح رأس الكلب أعلى جسده، وقد رأيته من قبل منحوتًا على جدران المقبرة.

فتجمدت دمائي لِما رأيت، في حين غمغم (بوارو) وهو يرسم الصليب على نفسه:

«يا إلهي، هذا (أنوبيس)؛ الإله ذو رأس ابن آوى وربِ الأرواح الراحلة».

فصاح (توسويل) ووقف ساخطًا على قدميه:

«هُناك من يخدعنا».

في حين تمتم السير (جاي) وقد شحب وجهه في خوف:

«لقد دخل خيمتك يا (هاربر) ».

فقال (بوارو) وهو يهُز رأسه نافيًا:

«كلا، بل دخل خيمة دكتور (إيمز) ».

حدق الطبيب في وجهه غير مُصدق، ثم كرر كلماتِ دكتور (توسويل) وهو يكاد يبكي:

«يخدعنا شخصٌ ما، تعالوا، هيا نُمسك به».

وانطلق مُسرعًا ليُطارد الشبح الغامض، فتبعته، بحثنا جميعًا قدر استطاعتنا، ولم نجد أي أثر لأي روحٍ حية مرت من هُناك! فُعدنا مُنزعجين لنجِد أن (بوارو) ينشط في الاحتياط بطريقته الخاصة لضمان سلامته، وانشغل كذلك بإحاطة خيمتنا بأشكالٍ ونقوشٍ يرسمها على الرمال، رأيت النجمة الخماسية- البنتاجون- عِدة مرات. وكعادته، ارتجل (بوارو) في نفس الوقت مُحاضرة عامة عِن السحر والشعوذة؛ والسحر الأبيض ضد السحر الأسود، وألقى عدة

إشارات إلى الكا- الروح البشرية عند قدماء المصريين- وكتاب الموتى.

ويبدو أنه أثار استهانةً من الدرجة القصوى في نفس دكتور (توسويل)، فجذبني جانبًا وتذمر بإطلاقِ صوتٍ غاضبٍ بذيءٍ حرفيًا من أنفه، بل وهتف غاضبًا:

«هذا هُراء يا سيدي، هُراء محض. هذا رجلٌ دجال؛ لا يعرف الفرق بين خُرافات العصور الوسطى ومُعتقدات مصر القديمة، لم أسمع البتة بمثل هذا المزيج السخيف من الجهل والسذاجة».

هدأتُ الخبير المتحمس ثم انضممت إلى (بوارو) في خيمتنا، لأجد صديقي القصير مُبتهجًا، واعرب لي عن سعادته قائلًا:

«نستطيع الآن النوم في أمان، وهو ما سأسعد به، رأسي يؤلمني وأنا أمقُت هذا، آه، كم أرغب في شايٍ عشبيٍ ساخن».

وكأن صلواته فد أُستجيب لها، إذ رُفِع غطاء الخيمة وظهر (حسن) حاملًا كوبًا يتصاعد منه البُخار وقدمه ل(بوارو)،

وتبين أنه شاي البابونج الذي يعشقه للغاية. وبعد شُكره ل(حسن) ورفضي لتقديمه كوبًا أخر لي، تركنا وحدنا مرة أخرى، فوقفت عند باب الخيمة لبعض الوقت بعدما خلعت ملابسي وأخذت أتطلع إلى الصحراء، قُلتُ بعلو صوتيٍ:

«مكانٌ رائع، وعملٌ جميل، هذه الحياة الصحراوية تجذبني، وكذا الاستقصاء في قلب الحضارة البائدة. بالتأكيد يا (بوارو)، ألا تشعر مثلي بهذا الافتتان؟».

لم يُجبني، فالتفتُ منزعجًا بعض الشيء، وسرعان ما تحول إنزعاجي إلى قلق، إذ استلقى (بوارو) على الأريكة وقد تشنج وجهه بشكلٍ مُخيف، وبجواره الكوب الفارغ!

فهرعت إلى جواره، ثم اندفعت خارجًا وعبرت المخيم إلى خيمة دكتور (إيمز)، وصحت باكيًا:

«دكتور (إيمز)! تعال فورًا».

فقال الطبيب وقد خرج لي وهو يرتدي البيجامة:

«ماذا حدث؟».

«صديقي، إنه مريض، يموت، شاي البابونج.. لا تدع (حسن) يُغادر المخيم».

ركض الطبيب إلى خيمتنا بُسرعة الوميض، وقد رقد (بوارو) كما تركته بالضبط، فصاح (إيمز):

«هذا غير اعتيادي، تبدو كنوبة أو.. ماذا قُلت أنه شرب؟».

والتقط الكوب الفارغ في حين قال صوتٌ هادئ:

«ولكن ما حدث أني لم أشربه! ».

فاستدرنا مُندهشين لنجد (بوارو) جالسًا على الفراش؛ يبتسم، ثم قال بتمهُل:

«كلا، لم أشربه. فبينما يُناجي صديقي العزيز (هاستينجز) الليل، انتهزت الفرصة لصبه، لكن ليس في حلقي، بل في زُجاجةٍ صغيرة، وستذهب تلك الزجاجة الصغيرة إلى التحليل الكيميائي».

هنا تحرك الطبيب فجآة فقال (بوارو):

«كلا، أنت رجلٌ عاقلٌ وتفهم أن العُنف لن يُجدي نفعًا، فأثناء خروج (هاستينجز) لإحضارك، وضعتُ الزُجاجة في مكانٍ آمن. آه، (هاستينجز)، أمسكُه بُسرعة! ».

الحقيقة أني أسأت فهم توتر ولهفة (بوارو)، فحرصًا مني على إنقاذ حياة صديقي ألقيت بنفسي أمامه، لكن تحرُكات الطبيب السريعة كان لها مغزى آخر، فقد تحركت يده إلى فمه، وامتلأت الخيمة برائحةِ اللوز المُر المُميزة لسُم السيانيد، ومال إلى الأمام ثم سقط أرضًا، فقال بوار جزعًا:

«ضحية أخرى، ولكنها الأخيرة. وربما هذه أفضل نهاية، فهُناك ثلاث وفيات مُعلقة برقبته».

فزعقت مذهولًا:

«دكتور (إيمز)؟ لكني ظننتُ أنك تؤمن بتأثير الغرائب؟».

«أسأت فهمي يا (هاستينجز). ما قصدته هو إيماني بقوة تأثير الخُرافات الرهيبة، وبمجرد التأكيد على أن سبب سلسلة من الوفيات خارقٌ للطبيعة؛ قد تطعن رجلًا في عين النهار، وسيصعُب ألا نُعزي ذلك إلى اللعنات، فغريزة الإيمان والتأثُر بالخوارق فطرية مزروعة في البشر. ظننتُ في البداية أن رجلًا ما يستغل تلك الغريزة، وقد أتت الفكرة إليه حسبما أعتقد بعد وفاة السير جون ويلارد. فسيطرت الخرافة على الأجواء في الحال، وبقدر ما رأيت، لا أحد هُنا يُمكنه جني أي ربح معين من وفاة السير (جون)، لكن السيد (بليبنر) مُختلف، فهو صاحب ثروة كبيرة، وقد احتوت المعلومات التي تلقيناها من نيويورك على عدة معلومات موحية، ففي البدء قال الشاب (بليبنر) إن لديه صديقًا فاضلًا في مصر يستطيع الاقتراض منه، فيُفهم ضمنيًا أنه يقصد عمه، لكن بدا لي أنه لو قصد عمه لقالها بصراحة، بينما تُشير الكلمات إلى عطايا صديقٍ حقيقي. وهنُاك أمرٌ آخر، أنه جمع ما يكفي من المال ليُسافر إلى مصر، ورغم رفض عمه صراحةً أن يمنحه فلسًا واحدًا، إلا أنه استطاع دفع تذكرة العودة إلى نيويورك، إذن هُناك شخص أخر ليُقرضه المال».

فاعترضت قائلًا:

«هذه أدلة ضعيفة جدًا».

«هُناك المزيد يا (هاستينجز). فرُبما يتفوه الإنسان بكلماتٍ مجازية لكنها تعني معانٍ حرفية، وقد يحدُث العكس أيضًا، وفي حالتنا هُنا، تلقينا كلماتٍ تُشكِل معنىً حرفيًا بصورةٍ مجازية، إذ كتب (بليبنر) الشاب بوضوحٍ: «أنا مجذوم»، ولم يُدرك أحد أنه أطلق النار على نفسه لاعتقاده الفعلي بإصابته بالجذام».

فصحتُ مُندهشًا:

«ماذا؟».

«كان هذا نتاج عقلٍ شيطانيٍ ذكي، فقد عانى الشاب (بليبنر) مِن مشاكل جلدية طفيفة، وقد عاش في جُزرِ بحر الجنوب حيث ينتشر الجُذام بالفعل، وكان (إيمز) صديقًا سابقًا له، وهو طبيبٌ معروفٌ، ولا يحلُم أبدًا بالتشكيك فيما يقوله. وعندما وصلت إلى هنا توزعت شكوكي بين

(هاربر) والدكتور (إيمز)، وسُرعان ما أدركت أن الطبيب وحده يُمكنه ارتكاب تلك الجرائم وإخفائها، وعلمت من (هاربر) أنه كان يعرف الشاب (بليبنر) من قبل، ومما لا شك فيه أنه قدم وصيةً له أو أمن على حياته لصالح الطبيب في لحظةٍ ما من حياته، وقد لاحت للطبيب فُرصة لكسب الثروة، إذ يسهُل عليه حقن السيد (بليبنر) ببكتيريا التيتانوس القاتلة، ثم أطلق ابن الأخ النار على نفسه بعدما تغلب عليه يأسه إثر الأخبار المروعة التي نقلها إليه صديقه. ومهما كانت نوايا السيد (بليبنر) فهو لم يُقدم وصية وبالتالي تنتقل ثروته إلى ابن أخيه ومنه إلى الطبيب».

«وماذا عن السيد (شنايدر)؟ ».

«لا يُمكننا أن نتأكد. فهو على معرفة بالشاب (بليبنر) أيضًا، أتذكُر؟ وربما اشتبه في خُدعةٍ ما، أو رُبما ظن الطبيب أن ميتةً أخرى بلا دافعٍ أو هدفٍ أكيد من شأنها أن تُعزز تشابك الخُرافة مع القصة. دعني أُخبرك بحقيقة نفسية مُثيرة للاهتمام يا (هاستينجز)، فلأي قاتلٍ رغبة عارمة في تكرار نجاح جريمته، بل ويتحسن أداءه

بالتكرار، ومن هُنا خِشيتُ بالفعل على (ويلارد) الشاب. وبالنسبة للشخص الذي يُشبه أنوبيس فلم يكُن سوى (حسن) يُنفذ أوامري، إذ رغبتُ في معرفة قدرتي على إستثارة خوف الطبيب، لكن الأمر يتطلب أكثر من خوارق الطبيعة لتخويفه، فتكهنت أنه لم يتأثر بذرائع إيماني بالغرائبيات، ولم تخدعه تلك الكوميديا الصغيرة التي مثلتها أمامه، وظننت أنه سيختارني كضحيته التالية. آه، ورغم من ركوب البحر الملعون، والحرارة البغيضة، ومُضايقات الرمال، لا تزال خلايا مُخي الرمادية الصغيرة تعمل! ».

ثم تبينت صحة استنتاجات (بوارو)، فقد قدم الشاب (بليبنر) قبل بضع سنوات- وفي نوبة سُكر وعربدة- وصيته مازحًا، وفيها: «**غُلبة السجائر خاصتي التي تحبونها جدًا وكُل شيء أمتلكه ستكون ديونًا في رقبتي لصالح صديقي العزيز (روبرت إيمز)، الذي أنقذ حياتي من الغرق».**

تكتمت الشرطة على القضية إلى أقصى حد، ويتحدث الناس إلى يومنا هذا عن سلسلة الوفيات المشهورة التي تتعلق بمُكتشفي مقبرة (من كا رع)، كدليلٍ لانتصار الملك الراحل وانتقامه من مُدنسي مقبرته، وهو اعتقاد- كما شرح

لي (بوارو)- يتعارض مع كل المُعتقدات والأفكار المصرية.

عن المُترجم

د. أحمد تركي، صيدلي وروائي ومترجم، من مواليد محافظة الاسكندرية عام 1990، أصدر العديد من الأعمال الأدبية منها:

الروايات:

شقوق الفزع، وفارس الحق، وبارهيليون.

الترجمات الروائية:

الظل خارج الزمان للافكرافت بالاشتراك مع عمار المصري، والوجوه البيضاء لأرثر ماكن، وبيت على الحدود لويليام هوب هودسن، ويوم التريفيدات لجون ويندام، والرواية القصيرة الأستاذ دُب لكامدن لامونت.

المجموعة القصصية سماء هادئة، والمجموعة القصصية المترجمة حلقة لافكرافت بالاشتراك مع حلمي مطر.

الترجمات غير الروائية: حين مُنحت الكلمة للويس لوماكس، وأسرار التسويق بالمحتوى، ورحلة السيدة أيدا فايفر من النمسا إلى القدس، والدليل الشامل لتنمية الذكاء العاطفي في الأطفال بالاشتراك مع عمار المصري.